تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا إن هدانا الله ..

يأتى هذا الكتاب نفحة مباركة من إبحار تتوق إليه النفس فى الشوق المتواصل إلى العلم .. الشوق الذى لا تفتر همته ولا تحده حدود .. وكما يبدو للوهلة الأولى من عنوان الكتاب ، فى الدعاء لله بأن يزيدنا علمًا ، وأن يفتح لنا مغاليق ما نجهل من طريقنا نحو العلم والمعرفة .. أى نحو معرفة الله حق المعرفة وحق اليقين.

إن المؤلِّف غنى عن التعريف ، فهو ممن أحرزوا قصب السبق فى كل مجال كتب فيه.. سواء أكان فقهًا أم أدبًا أم شعرًا .. أما المؤلَّف فهو يضم من الموضوعات ما يجعله ثريًّا فى محتواه ويزيد على ذلك ألق العرض ورشاقة التناول واتساق موضوعاته فى متوالية فكرية رفيعة المستوى .. استلهم المؤلِّف فى تصنيفه كلمة « زمرة » فى إشارة واضحة إلى ما لهذه الكلمة من سياقات فى التعبير الإسلامى ، تدل دلالة بينة على ترابط موضوعات كل جزء ، فى سياق لا يخفى على القارئ اللبيب .. بأن ما تحتاجه أمتنا العربية لكى تعبر « خندق » التحديات الذى وضعنا فيه أنفسنا ، قبل أن يضعنا الآخرون ، هو أن نكون «زمرة» ...

يقع الكتاب فى أربع زمرات ، يتناول أولاها مكانة العلم فى الإسلام ، وتتضمن ثانيتها التعريف بالعلوم الشرعية وغيرها من علوم اللغة والإنسانيات والعلوم التطبيقية ، بينما تأتى منهجية البحث العلمى فى

الإسلام وأهميتها وكيفية الحكم على التصورات وقيمة تدوين العلم والعناية بالمخطوطات فى الزمرة الثالثة .. ويختتم كتابنا القيم بتوضيح خصائص التعليم الإسلامى وأساليبه فى الزمرة الرابعة ...

إن الكتاب بتشكيلته هذه ، ليعد تشكيلة منفردة ، تتسلل مفرداتها ومعانيها إلى القلب ، فتهز الوجدان وتثرى الفكر ، لا لشىء ، وإنما لأنها خرجت بصدق من قلب وعقل مؤلِّفها .

الناشر

مُقَدِّمَة

آية الشعار : ﴿ رب زدني علما ﴾

في ظل هذا الشعار الذي علمه الله لنبيه حين خاطبه بقوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [1] نقدم شذرات عن فضل العلم والتعلم ومكانة العلم في الإسلام، ومنهجية البحث العلمي، وخصائص التعليم الإسلامي وأساليبه، والجهود التي بذلها العلماء لإرساء الحضارة الإسلامية على أسس من الثقافة الرفيعة ومظاهر الرقي المختلفة .

قال العلماء : ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، حيث قال عز وجل : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . وهذه الآية الجليلة وسبب نزولها يعطي طالب العلم أمرين لا بد منهما :

الأمر الأول أنه لا بد من الاستزادة من العلم والترقي فيه درجة بعد أخرى فليس للتعلم في الإسلام نهاية، والدليل على هذا أن الله عز وجل أمر رسوله هذا الأمر الوحيد من نوعه بطلب الازدياد من العلم .

والمعهود في التشريع أن الله تعالى حين يأمر رسوله يطلب منه مطلق الفعل أو يطلب ما يتيسر منه : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ ﴾ [2] ﴿ قُمْ اللَّيْلَ

(١) سورة طه / ١١٤.
(٢) سورة المزمل / ٢٠ .

إِلاَّ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[1]. فالله عـــز وجل يخفف على عباده، مع الرأفة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالأمة مـــن تحمل ما هو فوق الطاقة من العبادة العملية أو القولية، أما العلم فإن الله عـــز وجل أمر رسوله أن يزداد منه، وأن يتبسط فيه، لأنه ليس للتعلم نهاية ، وليس للعلم حدود ، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [2] .

وفي القصص القرآني شواهد كثيرة على ذلك من سنن الأنبياء وقصص المرسلين، فقصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر معروفة ، ولها حديث آخر سيأتي بعون الله .

هذا ما يتصل بنص الآية التي هي شعارنا هنا .

أمـــا الأمـــر الثاني فهو ما يتصل بسبب نزولها فإنه يعطي أدبا آخر من آداب التعلم، وهو التدرج في التعلم، لأن سبب نزولها هو ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم حين نزول القرآن عليه ، من ترداده الآيات التي يتلقاها بـــالوحي وتحريك لسانه تعجلا بحفظ القرآن حتى لا يفوته منه شيء . فنزل قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [3]. أي إن هذا العلم لا يأتي جملة واحدة وإنما يؤخذ بالتدريج، فهذه لطيفة من اللطائف في آداب التعلم علمها الله رسوله وعلمها هذه الأمة المحمديـــة. ولذلـــك يقول الإمام الزهري وهو من العلماء الذين ورثوا علم الأنبياء : " من أراد العلم جملة فاته جملة، وإنما يؤخذ العلم حديثا وحديثين".

(١) سورة المزمل / ٢ - ٤ .
(٢) سورة الإسراء / ٨٥ .
(٣) سورة طه / ١١٤ .

فهـــذه الآية بمنصوصها وبسبب نزولها أرشدت طالب العلم إلى أن عليه أن يتوسع في طلب العلم وأن لا يتوقف عند حد، فلا حصوله على شهادات علـــيا غاية للتعلم، ولا كبر سنه نهاية لكسب العلم وطلب المعرفة، ولا سعة مالـــه وحســـن ظروفه يغنيه عن البحث والاطلاع ، بل يظل الإنسان يتعلم ويتعلم ويرفع يديه قائلا : رب زدني علما .

وكذلـــك علـــيه ألا يطمع في تحصيل العلم جملة واحدة، لأن من أراد تحصيل العلم جملة واحدة حصل له من المبالغة وشدة الحرص وكثرة الإلحاح مـــا يجعـــل العلم يفوت عليه جملة واحدة لأن العلم يؤخذ بالتدرج و العلم بالتعـــلم كمـــا أن الحـــلم بالتحلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم الوقار"[1] . فإذا تدرج الإنسان وتلطف وعامل نفسه بما تقوى عليه فإنه يكون حكيما والحكمة وضع الشيء في موضعه .

فالازدياد من العلم والتدرج في تحصيله هو الوسيلة الأولى التي ينبغي أن يحـــرص علـــيها طالب العلم ، ولذلك خص الله عز وجل هذا الأمر بطلب الازدياد منه وأفرده عن جميع الأوامر التي أمر الله عز وجل بها نبيه .

إن اســـتمرار التعـــلم هو بركة للزمن، يقول رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني لله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم "[2] وهذا الحديث يبين أن البركة تحصل للزمن بملئه بالعلم .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (فيض القدير للمناوي ٢ / ٢٥٣) .

(٢)رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر .

والعلم معرفة الأشياء والأمور كما هي عليه واكتشاف حقيقتها، فكل مـــا يســـمعه الإنسان ويشاهده إنما هو أسرار في هذا الكون . وإذا تطلب الوصول إلى سر هذه الأمور فإنه يدرك حكمة الله في خلقها، ويدرك ما فيها من نعم الله عز وجل، فتحصل له البركة و الخير العميم .

و إذا أغمـــض الإنســـان طـــرفه عن هذه الحقائق الكونية وملأ زمنه بالـــتفاهات و لم يكلـــف نفســـه عبء التعلم ، فإن هذا الزمن يكون شؤما ويكون محسوبا عليه ويسأل عنه يوم القيامة، لأن الإنسان لا تزول قدماه يوم القـــيامة حـــتى يسأل عن أربع، إحداها: عمره فيم أفناه، ويقول رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم مبينا أن خير ما في هذه الدنيا هو العلم وهو أولى ما ينبغي الاستكثار منه : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمـــا ومتعـــلما "[1] . أي إن هذه الدنيا ليس فيها شيء جدير بالتعلق به إلا ذكر الله عز وجل وما والاه وما كان متصلا بتعزيزه وتقويته ومنه العلم والتعلم .

(١) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابن ماجه والبيهقي .